نجيب محفوظ

ولعنة أولاد حارتنا

تمر هذه الأيام الذكرى المئوية على ميلاد الأديب العالمى نجيب محفوظ، الذى ولد فى ديسمبر عام ١٩١١، حيث تحتفل به مصر بجميع مؤسساتها الرسمية والأهلية، كما أعلنت العديد من الدول العربية والعالمية الاحتفال به أيضا، ليس لأنه أول أديب عربى يفوز بجائزة نوبل فى الآداب ،ولكن لأنه قامة سامقة فى دنيا الإبداع، و الكاتب العربى الأكثر قراءة وترجمة على مستوى العالم فقد ترجمت رواياته إلى العديد من اللغات الأجنبية إن لم تكن جميعها خاصة بعد حصوله على نوبل، وأعاد للأدب العربى إعتباره ووضعه على خريطة الأدب العالمية، فرواياته يقرأها القارىء الأجنبى مثلما يقرأ ابسن، وتولستوى, وماركيز، وكازانتزاكس، وغيرهم من الأدباء العالمين.

فهل يعقل والعالم يحتفل بقيمة وقامة نجيب محفوظ أن يتعرض لتلك الهجمة الشرسة من المهندس عبد المنعم الشحات ،المتحدث الرسمى لحزب النور السلفى متهما رواياته بالحض على الرزيلة حيث تدور فى بيوت الدعارة

والمخدرات، هذا الكلام – من وجهة نظرى – لا يستحق أن نقف أمامه إلا بمقدار صعود التيار السلفى فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة ليصبح فى صدارة المشهد السياسى، رغم السقوط المدوى للشحات فى انتخابات الإسكندرية الذى أعتبره أبلغ رد من الناس على جرأته فى سب محفوظ وأدبه وهو فى ذمة الله.

وليست المرة الأولى التى تعرض فيها نجيب محفوظ للهجوم على أدبه فقد تعرض قبل ذلك كثيرا واتهم بالكفر والزندقة والخروج عن الملة مثله فى ذلك مثل الدكتور طه حسين حينما نشر كتابه الأدب الجاهلى، والشيخ على عبد الرازق، ومحمد عبده، وغيرهم من مفكرى الأمة المستنيرين.

فقد جلبت على نجيب محفوظ روايته "أولاد حارتنا" العديد من المشاكل وترصده الظلاميون بسببها فى كل مكان وزمان منذ أن نشرها مسلسلة على صفحات جريدة الأهرام عام ١٩٥٩، حيث رفع ثلاثة من رجال الأزهر تقريرا عنها للرئيس جمال عبد الناصر، الذى منع –على إثره– نشرها فى مصر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد حيث إن الدكتور عمر عبد الرحمن اتهم محفوظ بالكفر وأنه "مرتد عن الإسلام" بسبب كتابته لرواية أولاد حارتنا فى حديث أدلى به لإحدى الصحف العربية.

أعتقد الهجوم على أدب نجيب محفوظ هو الذى لفت أنظار العالم إليه بشدة، لينال جائزة نوبل عام ١٩٨٨، حيث جاء فى حيثيات فوزه بالجائزة: "أن رواية، أولاد حارتنا غير العادية تتناول بحث الإنسان الدءوب عن القيم الروحية، وتتضمن أنماطا مختلفة من الأنظمة تواجه توترا فى وصف الصراع بين الخير والشر" ولم يسلم محفوظ من يد الغدر التى طعنته فى عنقه بسكين أثناء سيره فى وسط القاهرة عام ١٩٩٤، من يد مرتعشة لصبى لم يقرأ له حرفا بل أقنعوه أنه كاتب رواية الكفر وبقتله سوف يدخل الجنة، وظل يعانى نجيب محفوظ سنوات من جراء هذه الطعنة الغادرة إلى أن رحل وترك لنا تراثا إبداعيا نباهى به الأمم، فهل نرحم الرجل من التكفير بعد أن ترك لنا الدنيا بما فيها؟!

★ نشر فى جريدة الوفد

openkandil.com